التبادل الثقافي والغزو الثقافي

الشيخ علي آل موسى*

عمليتان متضادتان:

من الظواهر الطبيعية التي تتم بين الثقافات عمليتان متضادتان، هما: التبادل الثقافي، والغزو الثقافي، بحيث لا نستطيع أن نجد ثقافة -مهما ادعت لنفسها الأصالة- لم تتأثر وتقتبس من غيرها، إما في المناهج أو الأفكار أو الأساليب والآليات.

فالتجاور الجغرافي أو الثقافي بين الأمم، والأسفار، والتزاوج، وحواضر العلم، والحروب، والاستعمار، وغيرها.. عوامل سعت لإيجاد تينك العمليتين، ورفدهما دوماً.

لقد قامت الدولة الرومانية على أنقاض اليونانية، لكنَّها تأثرت بعلومها وأدبها - لا سيما في الشعر -، كما تأثرت - فيما بعد - بالمسيحية.

والدولة الإسلامية التي أخذت تتوسع وتمتد، ويدخل تحت طيّها حضارات وثقافات، هي الأخرى تناوبت وتقاسمت التأثر والتأثير: فقد أثَّر الشعر العربي وأوزانه في الأدب الفارسي، وانتشرت العربية في ذلك المجتمع، فضلاً عن سيادة الدين الإسلامي: عقيدة، وأخلاقاً، وتشريعاً.

وعلى الطرف المقابل تأثر العرب كثيراً بالنثر الفني الفارسي، وأسلوب الرسائل الذي قدّمه لهم عبد الحميد الكاتب [حوالي ٦٠- ١٣٢هـ]، [حوالي ٦٧٩- ٧٥٠م]، وبلغ ذروته على يد ابن العميد [٢٩٧- ٣٦٠هـ]، [٨٩٢- ٩٧٠م]، و(الكاتب) من أصل فارسي أو

* عالم دين، اكاديمي ـ السعودية

آرامي، و(ابن العميد) من أصل فارسي، وقد بلغت شدة إعجاب العرب بفنهما أن سارت مأثوراتهم تثني على جهودهما، وتلهج قائلة: «بُدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد»[١]، «فُتحت الرسائل بعبد الحميد، وخُتمت بابن العميد»[٢].

وأسلوب القصّ هو الآخر دخلهم مع عبد الله بن المقفع [١٠٦- ١٤٢هـ]، [٧٢٤-٧٥٩م]، وترجمته لـ(كليلة ودمنة) عن الفارسية التي استلهمته بدورها من الأدب الهندي، كما دخلهم مع (ألف ليلة وليلة) المستدعى من كتاب (هزار أفسانه) الفارسي، وهذا غير ما تأثرت به نظمهم الإدارية في البريد والبيمارستانات.

وحركة الترجمة في العصر الأموي والعباسي أدخلت معارف الهند واليونان إلى العرب والوطن الإسلامي، وخصوصاً في حقول الطبّ والمنطق والفلسفة، وظهر ذلك عند بعض النحويين بشكل بارز في المصطلحات والعلل والتقسيمات وغيرها، كما ظهر في الفقه والأصول.

وفيما بين المسلمين والغرب، مثّلت (الأندلس) أوثق جسر لانتقال المعارف الإسلامية لأوروبا، فقد كان الوجود الإسلامي فيها، والذي ناف على ثمانية قرون [٩٢- ٨٩٨هـ]، [٧١١-١٤٩٢م] ينعم في بحبوحة العلم والمعرفة والأدب، وكان الأوروبيون ينتهلون ذلك من حياضها المترعة، عبر الدراسة المباشرة في معاهدها، وعبر الاختلاط والتزاوج والطرق غير المباشرة.

وراح الأوروبيون يأخذون منهم العلم والطبّ وأكثر من ذلك، فقد وجدوا جذورهم التراثية الكامنة في المعارف اليونانية لدى المسلمين صافية، بل.. وأُسديت لها الكثير من الخدمات الجليلة، فتسلّموها، ومضوا يشيدون عليها عرش حضارتهم الجديدة.

لقد استمرّت ترجمات الكتب العربية تُدرّس في الجامعات الأوروبية طوال ستة قرون من الزمن!!

كما أمست (صقلية) جسراً آخر انتقلت معارف العرب والمسلمين عبره إلى(إيطاليا)، ومنها إلى أوروبا.

والحروب الصليبية [١٠٩٩- ١٢٥٤م]، وما أتاحته من احتكاك وتجاور وتعرّف على شيء من ملامح القوة لدى الجانبين، وفّرت مناخاً خصباً لتناقل المعارف والتصنيع والتقانات الحربية، وجسراً ثالثاً لانتقال المعارف.

يقول الكاتب الأسباني بلاسكو إيبانز - المغرم بالحضارة العربية -: «ولا جدال أنّ الحضارة الأوروبية تدين بعصر نهضتها للعرب الذين عرفوا كيف يوفرون الشروط اللازمة لتبرعم عصر النهضة وازدهاره»[٣].

ويقول المفكِّر الفرنسي روجيه غارودي: «لقد أخصبت الحضارة العربية الماضي، وهيَّأت المستقبل خلال ألف عام، وتحمَّلت طوال هذه المدة مسؤولية هذه الثقافة التي نقلتها إلى أوروبا عبر إسبانيا وصقلية.

لقد مارست الثقافة العربية الإسلامية تأثيرها على الغرب بواسطة ترجمة المؤلفات

الإسلامية في (طليطلة) إلى اللاتينية على يد الأسقف ريمون [١١٢٦- ١١٥١م]... فطبعت هذه المؤلفات القادمة من إسبانيا ومن صقلية انعطاف نظرة الغرب إلى العالم بطابعها الخاص.

وُلِدَ الغرب الحديث في إسبانيا تحت حكم الفونس السادس، وفي صقلية تحت حكم فريدريك الثاني، وكلاهما معجبان شغوفان بالثقافة الإسلامية، فكانت الحضارة العربية قابِلَتَهُ أو أمه المُرضع»(٤).

وفي القرن الخامس عشر الميلادي وما تلاه عندما أفاقت أوروبا من سباتها الطويل، وراحت تمسح عن وجهها كثبان ظلام العصور الوسطى، وسبرت عصر النهضة، وعصر التنوير، وعصر الوضعية، والثورات الثقافية والصناعية، وصولاً إلى عصر العولمة والثورة المعرفية وغيرها، وأسرعت نحو العلوم والاكتشافات، غدَت الثقافات والأمم الأخرى - ومنها العرب والمسلمون - تعبّ من فلسفتها ومناهجها وتصنيعها، وتجلس على مقاعد الدرس في جامعاتها.

وهكذا.. أمسينا نشهد التناوب في الإمساك بدور البطل الفاعل المنتج، والمتلقي الحيوي أو المستهلك، فالثقافة إرث تراكمي اشتركت الإنسانية جمعاء في صنعه، والتلمذة عليه: تصنعه في فترات قوتها، وتستقي منه حين تتزعمه أمة أخرى.

لقد استقى العرب والمسلمون من سقراط [٤٧٠- ٣٩٩ ق.م]، وأفلاطون [٤٢٨- ٣٤٨ق.م]، وأرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م]، وزينون القبرصي [ت حوالي ٢٦٤ ق.م]، وأبيقور [٣٤١- ٢٧٠ ق.م]، وبطليموس [نحو ٩٠- ١٦٨م]، وجالينوس [نحو ١٣١- ٢٠١م].

.. والغرب تتلمذ على كتب وشروحات ونظريات جابر بن حيان [ت ٢٠٠هـ/ ٨١٥م]، والفارابي [٢٥٩- ٣٣٩هـ]، [٨٧٢- ٩٥٠]، وابن سينا [٣٧٠- ٤٢٨هـ]، [٩٨٠- ١٠٣٧م]، وابن رشد [٥٢٠- ٥٩٥هـ]، [١١٢٦- ١١٩٨م]، والخوارزمي [ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م]، والرازي [٢٥١ - ٣١٣هـ]، [٨٦٥- ٩٢٥م]، وابن الطفيل [٤٩٤- ٥٨١هـ]، [١١٠٠- ١١٨٥م]، وابن الهيثم [٣٥٤- نحو ٤٣٠ هـ]، [٩٦٥- نحو ١٠٣٨م]، والبيروني [٣٦٢ - ٤٤٠هـ]، [٩٧٣- ١٠٤٨م]، وابن البيطار [ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م]، وابن النفيس [٦٠٦- ٦٨٧هـ]، [١٢١٠- ١٢٨٨م]، وغيرهم.

ثمّ عاد العرب والمسلمون ثانية يأخذون من ديكارت [١٥٩٦- ١٦٥٠م]، وكانت [١٧٢٤- ١٨٠٤م]، وجون لوك [١٦٣٢- ١٧٠٤م]، وإسحاق نيوتن [١٦٤٢- ١٧٢٧م]، وأوجست كونت [١٧٩٨- ١٨٥٧م]، ومندل [١٨٢٢- ١٨٨٤م]، وأينشتاين [١٨٧٩- ١٩٠٠م]، ودوسوسير [١٨٥٧- ١٩١٣م]، وأديسون [١٨٤٧- ١٩٣١م]، ورولان بارت [١٩١٥- ١٩٨٠م]، وغيرهم.

وفي حين شغف جوته [١٧٤٩- ١٨٣٢م] - شاعرُ ألمانيا - بالشرق، والقرآن، والنبي

محمد ﷺ، ورواية المعراج، والشعر العربي والفارسي، وحافظ الشيرازي، وبرز ذلك كلّه في ديوانه الشهير (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، و(مسرحية محمد)، و(نشيد محمد) التي أثنى فيهما ثناء عطراً على الرسول الأكرم ﷺ، وبلغ هيامه بالإسلام حداً قال فيه: «إذا كان الإسلام هو التسليم لله لا للأهواء والأغراض ففي الإسلام نحيا، وعليه نموت»[٥].

شُغف طه حسين [١٣٠٦- ١٣٩٣هـ]، [١٨٨٩- ١٩٧٣م] بأستاذه مرجليوث [١٢٧٤- ١٣٥٩هـ]، [١٨٥٨- ١٩٤٠م]، وراح يعيد إنتاج أفكاره في الانتحال والشعر الجاهلي.

وشُغف الفيلسوف العربي الدكتور زكي نجيب محمود [١٣٢٣- ١٤١٣هـ]، [١٩٠٥- ١٩٩٣م] بالفكر الأوروبي إلى مستوى قال فيه عن نفسه: «فهو واحد من ألوف المثقفين العرب الذين فُتحت عيونهم على فكر أوروبي - قديم أو جديد - حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأنَّ ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه؛ لأنَّ عيونهم لم تُفتَح على غيره لتراه»[٦].

ويعني ما مضى - فيما يعنيه - أنَّ أخذ الأمم عن بعضها لا يقتصر على الوقت الذي تكون فيه إحداها متقدّمة فتأخذ الأخرى عنها، كما أخذت أوروبا قديماً عن المسلمين، وكما يأخذ المسلمون اليوم عن الغرب، بل.. يتعدّى الأمر ذلك فتأخذ الأمم حتى في زمن ترفها الفكري من غيرها، على نحو ما شهدنا من استقاء العرب والمسلمين من الفكر اليوناني، وهم في أوج حضارتهم أيام العصر العباسي، حين كانت الدنيا تسجد عند أقدامهم.

ولا نريد من بيان تبادل التأثير أن نحكم دوماً بصحة الفكر المستَقَى، وسلامة تزريقه في جسد الأمة والثقافة، أو أن ننكر أنَّه قد يصاحب ظواهر كالاستلاب والاغتراب والاختراق، بمقدار ما نريد الإشارة إلى أنَّه مسألة واقعة لا سيما مع تواصل الثقافات والشعوب، وأنَّ طبيعة التواصل هي التي تحدِّد نوع العلاقة، وهل هي تبادل ثقافي أم غزو ثقافي؟

بين التبادل والغزو:

ولجلاء مفهومي الغزو الثقافي والتبادل الثقافي يمكن تسجيل الفروق التالية:

١ـ التبادل الثقافي ضرورة حضارية في سبيل إيجاد التلاقح بين الثقافات، أما الغزو فهو خطر على الأمة المعرّضة إليه.

٢ـ هدف التبادل هو ترميم ثقافة الأمة وسدّ الفجوة والخلل - على فرض وجودها -، أما هدف الغزو فهو اجتثاث أصول الثقافة المغزوّة والقضاء عليها.

٣ـ في التبادل تكتسب المجتمعات والأمم القيمَ والأبعاد الإيجابية (كمغامرة الغربيين من أجل الجديد، وحيوية الشرق الآسيوي في العمل والاهتمام بالوقت). وفي الغزو تُغرز في الأمة المعرَّضة للغزو القيم السلبية (كالتحلل الجنسي).

٤ـ في التبادل تختار الأمة أو المجتمع ما يريده وما يحتاجه من الثقافة، أما في الغزو

فيزف القوي المتنفذ ما يريده من ثقافة.

٥ـ التبادل يتم بين الأمم القوية، وهو علامة قوة الأمة، وكونها قادرة ليس على استهلاك الأفكار فقط، بل.. والمشاركة في إنتاجها والتفاعل مع الثقافات الأخرى لدى الآخر. أما الغزو فدليل على ضعف الأمة التي تُغزَى وقوة الأمة الغازية[٧].

ضرورة التبادل:

للتبادل الثقافي ضرورات، منها:

١ـ اكتساب الثقافة:

الثقافة إرث إنساني مشاع تملكه البشرية جمعاء، لا يمكن حدّه بالحدود الجغرافية أو العرقية أو السياسية، ولم تَبْنِهِ أمة واحدة فقط، بل.. اشترك فيه الجميع، وهو موزع بين الأمم.

ومن ثمَّ فالتبادل ضرورة لتكتسب كلّ أمة ما لدى الأخرى من المعرفة.

٢ـ المثاقفة:

ولا تقتصر أهمية الثقافة على اكتساب أمة لها، بل.. تتعدى ذلك، لتسعى كلّ ثقافة إلى إفادة الأخرى، والقيام بعملية تفاعلية لخدمتها، والخروج من الأنانية الثقافية.

ولا تستطيع أمة - مهما أُوتيت من سبل الرفعة - أن تدعي أنَّها وصلت إلى الكمال، وعدم الحاجة إلى ما لدى غيرها، سواءً من ثقافات ماضية أم قائمة.

٣ـ التفهم:

والانغلاق الثقافي يمنح الثقافة الفردية والجمعية صورة ضبابية أو خاطئة عن الثقافات الأخرى، بما يصل أحياناً إلى مستوى الأسطرة والاحتراب.

ولتجنب (صدام الحضارات) الذي يتوقعه (صامويل هانتنغتون)، ويتوقع قيامه على الأسس الثقافية المميزة بين الحضارات، فإنَّ تعارف الحضارات وحوارها يوجد فيما بينها عملية التفهم، ومدّ جسور العلاقات.

٤ـ البدائل والمتغيّرات:

والتبادل الثقافي يفتح عين الأمة على اختيارات عديدة في مقام العمل يمكن أن تستفيد منها، ويضع أمامها وسائل وأدوات تطبيقية بما يجعل العملية لا تقتصر على الجانب النظري المعرفي.

خطورة الغزو:

أما الغزو الثقافي فتكمن إحدى أهم مخاطره في أنَّه يسعى لخلخلة هوية الأمة وقيمها، وتقويض الأسس والمرتكزات التي يقوم عليها بناؤها.

وهنا ينبغي ألا نضع في حسباننا بأنَّ أية عملية تلاقي بين الأمم والثقافات هي - بالضرورة - عملية غزو ينبغي الوقوف في وجهها؛ فيكون ذلك عاملاً مؤسساً للانغلاق.

وفي الوقت نفسه ينبغي ألا تقبل الثقافة كلّ فكر آتٍ قد يكون فيه ما يمسخ شخصيتها.

ومعنى هذا أن تؤصل الأمة ثقافتها، وتنبّه عقليتها الواعية ورشدها، وتنفتح على الثقافات الأخرى؛ لتستمد منها عناصر الإيجاب والقوة.

ومن أهم إفرازات الغزو:

١ـ الاغتراب: (استلاب الذات):

بأن يعيش الإنسان «الانهزام أمام الآخر ومحاكاته وتقليده والتماهي معه على حساب الذات تحت ذرائع شتى تبرِّر هذا النزوح»[٨].

إنَّه «الاغتراب عن الذات، وفقدان الجوهر الإنساني، والانسحاق تحت وطأة إيديولوجيا مناقضة لواقع فرد ما..، أو جماعة ما..، ومتعارضة مع المصلحة الحقيقية لذلك الفرد أو تلك الجماعة»[٩].

وتكمن الخطورة -هنا- حين يفقد الشخص أو الجماعة ثقته في ذاته الفردية أو الجمعية، الدينية أو المذهبية أو الاجتماعية أو الوطنية أو القومية أو....، ويهيم بعشق ذات أخرى يمثلها الآخر المختلف. إنَّه استلاب لم يقع على المال والمادة، بل.. وقع على العقل والمعنى.

ولن تضحي العملية عملية مثاقفة وتبادل؛ لأنَّه لا ذات هنا لتتولى عملية المثاقفة، فقد انسحقت وتلاشت، ولم يعد في الميدان إلا الآخر يصول ويجول دون منافس.

٢ـ التغرب: (الارتماء في أحضان الآخر):

وحينما يعايش شخص أو جماعة اغتراباً واستلاباً، ويفقدون ثقتهم بذاتهم الفردية أو الجمعية يتطلعون إلى الآخر بوصفه البديل المُحَلّ محلّ الذات، وتُجتَلب منه المناهج والأدوات، الأفكار والتطبيقات، وهكذا يدخل فكر الآخر (الغازي) إلى البنى المعرفية والإجرائية والعملية.

وحين نتحدّث عن الغرب فإنَّنا لا نقصر (الآخر) عليه وحده، فهو مجرّد نموذج للآخر الخارجي، وهناك آخر خارجي غيره بمناهجه وأدواته المباينة -هو الآخر الشرقي-، فضلاً عن الآخر الداخلي وخطوط الطيف التي يتدرَّج بينها، وإنَّما نعرضه بوصفه المثال الأجلى صاحب الثقافة المهيمنة المستقطبة في الآن الحاضر، والتي استطاعت - بمستواها

المعرفي والتقني والعمراني - أن تجتذب عقول كثير من المثقفين، وتصوغ سلوكاتهم.

لقد درس بعض هؤلاء في جامعات الغرب حيث تنهلّ عليهم أحدث النظريات المعرفية، ورأوا -بأم أعينهم- ناطحات السحاب ومركبات الفضاء، ثمّ عادوا لبلادهم فرأوا بيوت الصفيح والطين، وأبصروا أبناء مجتمعهم -إن تنقّلوا بسيارات وقطارات وطائرات -فهي صناعة غربية!!، فماذا لدى الذات حتى تُصبح المعشوق الأكبر؟!، وهل لديها ما يُقارن بـ(نهاية التاريخ ونموذج الإنسان الأخير)؟!

الخيط الرفيع بين الثقافات:

والأمر في الفكر والثقافة ليس ببساطة ما ندركه في الحقل الاقتصادي والسلع، حين نستطيع أن نفرز الداخلي والخارجي، أو المنتج الوطني وغيره، ومراقبة مرور البضائع.

ففي الثقافة قد تتميَّز ثقافة ذات وثقافة آخر، وقد تتعدّد ثقافات غير متجانسة في الذات أو الآخر، وقد يأخذ أناس من إحداهما ويجعلونها -ضمن قناعاتهم أو فروضهم- من ثقافة الذات.

ومن ثمَّ فبين الثقافات خيط رفيع قد لا تسهل عملية رؤيته وتحديده وفرزه، فليس بالضرورة أن نجد الفكر الديني في مكان، والماركسي في آخر، بل.. قد نجد (فكر ماركسي - ديني)، أو (ديني - ماركسي)، وشحذ طاقة أحد الفكرين لخدمة الآخر، أو إيجاد تركيبة واحدة منهما معاً بحيث لا يكون هناك أساس أولي وثانوي.

«في السابق كان هناك أربعة اتجاهات فكرية معدودة بحسب التقسيم التقليدي، وهي: الماركسية المنقرضة، والرأسمالية المسيطرة اليوم على العالم، والإسلام بفرعيه: السني والشيعي.

أما اليوم فهناك تقسيمات كثيرة للاتجاهات الفكرية: فإلى جانب الاتجاهات التقليدية قد تشاهد إسلاماً شيعياً بحالة ليبرالية، أو تشاهد إسلاماً سنياً بحالة متطرّفة، أو تشاهد اتجاهاً اشتراكياً لديه حالة من الاهتمام بالرؤى الرأسمالية المضادة له في التفكير وغير ذلك.

وهذه الفوضى الفكرية في الاتجاهات قد تشكِّل إشكالية مهمة يجب أن ننظر إليها في البين.

اليوم هناك فوضى معرفية، لا تستطيع معها أن تقول: هذا يشكِّل إسلاماً شيعياً أو سنياً على وجه الحقيقة، فهناك من يدعو إلى تشيّع أو تسنن برؤية ليبرالية»[١٠].

من سبل الاختراق:

يحلو للبعض أن يقسِّم الفترة التي عاشها العالم الإسلامي والنامي -بصورة عامة- في علاقته مع الآخر المختلف الغربي إلى مراحل ثلاث:

١ـ الاستعمار المباشر (العسكري).
٢ـ الاستعمار شبه المباشر (شبه العسكري، الانتداب).
٣ـ الاستعمار الخفي (الثقافي).

وفي حين حكم الغرب البلاد في المرحلة الأولى بجلبة الخيل والعسكر والدبابة والمدفع، حكمها في المرحلة الثانية عبر عملائه في الأقطار، وفي كليهما كان يسهل تحديد المستعمِر والإشارة إليه.

بيد أنَّه في المرحلة الثالثة تَزَيَّا بزيّ الثقافة، وحمل الكتاب والقلم، وانتقل - بواسطة أساليبه الدقيقة وتقاناته العالية - من (الغزو في عقر الدار) إلى (الغزو في عقر الذات)!!

لقد بدأ الغرب مرحلته الثالثة بالتركيز على وسائل التربية والتعليم، فأخذ أبناءَ البلاد ليدرسوا فكره في جامعاته التي بناها في بلادهم -كلبنان ومصر-، أو في البلاد الغربية عبر البعثات التعليمية؛ لكي يعتنقوا فكره ومناهجه وأساليبه وأدواته، ثمّ ليعودوا إلى أوطانهم رسلاً مبشرين به ومنذرين، وليضعوا مناهج التربية والتعليم والإدارة في أوطانهم مستوحاة من الفكر الذي اعتنقوه، وأمسى جزءاً تقويمياً من بنية عقولهم ووجدانهم.

ولأنَّ تدريسهم في جامعاته يجعله يخسر الأموال الطائلة عليهم - وإن كانت معوَّضة أضعافاً مضاعفة -، فقد ابتكر طريقة أسهل له، وتؤتي الثمار بمستوى أفضل، هي: التركيز على وسائل الإعلام الحديثة، القادرة على التأثير فيهم وهم في غرف نومهم!!

وأمست عملية الاختراق الثقافي من السهولة بمكان، ويبادر المرء إليها بنفسه، ويدفع ثمنها من ماله.

بيد أنَّنا حين نتحدَّث عن هذه السبل، لا نريد أن نحكم عليها بأنَّها مصدر اختراق دائماً، ولكلّ متعاطيها، بل.. نريد القول: إنَّها قد تُستعمل كذلك، كما يمكن الاستفادة منها للتبادل الثقافي ونشر ثقافة الذات ربَّما بمستوى يفوق كلّ الطرق التقليدية المألوفة في المجتمع.

فهي مسألة يعود الدور الأكبر فيها إلى (الإنسان) في طبيعة تعامله معها، أي إنَّ العامل البشري فيها هو العامل الأساس الغالب على سائر جوانبها الأخرى التقنية وغيرها، والقادر على توجيهها الوجهة التي يريد.

لمواجهة الاختراق الثقافي: المنع أم المناعة؟ (وسائل الإعلام نموذجاً):

سعى الإعلام - وعلى طول المراحل التاريخية - أن يحقق غرضين هامين هما: تحصين الذات وبيان ملامحها ونشر أفكارها، واختراق الآخر والتأثير فيه.

ومن هنا يمكن التعرف على سرِّ اهتمام البشرية به منذ فجر التاريخ، وتناميه على

مرِّ الزمن، وتوسع أطره وآلياته وغاياته.

كما سعى أن يوسِّع - كماً وكيفاً - من وسائله حتى يخاطب أكبر قدر ممكن من الشريحة الاجتماعية، والتأثير فيها، وأخذ يجدِّد وينوِّع سبله - لمعرفته بتنوُّع مصادر اهتمامات الناس - بين وسائل مقروءة، ومسموعة، ومرئية.

وهكذا لم يكتفِ بالجريدة، والمجلة، والتلفزيون، والراديو، و....، بل راح يسعى إلى تحويل العالم إلى قرية صغيرة، تهمي عليها سيولٌ من القنوات الفضائية بوابل هتَّان قد يُنبت، وقد يُغرق.

ولم يكتفِ بذاك، بل ربط العالم بأكمله عبر شبكة (الإنترنت)، ووضع الثقافات المتباعدة أو المتصارعة جنباً إلى جنب، بحيث تسهل عمليات الاطلاع، والمقارنة، والنقد، والانتقال، وتبادل التأثر والتأثير.

ودخلت الأسرة الكونية عصر الثورة المعرفية، وثورة الاتصالات، والانفجار المعرفي، الذي أفقد حتى الدول السيطرة على تدفق المعلومات.

وبما تحويه وسائل الإعلام من تقانة عالية أخذت تنازع الأسرة والمدرسة اللتين أخذتا تخليان مكانهما لها؛ رضوخاً للمنازع الأقوى الذي راح يستبد بالساحة، لاسيَّما وسط الانشغالات الأسرية، وزحمة المدنية المعاصرة.

ففي دراسة لمنظمة اليونسكو تَبيَّن أنَّ الأطفال في البلاد العربية يقضون ما بين ١٢ إلى ٢٤ ساعة أسبوعياً أمام التلفزيون[١١].

«إنَّ الأبحاث والدراسات أثبتت أنَّ بعض التلاميذ في البلاد العربية عندما يتخرَّج من الثانوية العامة يكون قد أمضى أمام التلفزيون خمسة عشر ألف ساعة، بينما لا يقضي في حجرات الدراسة أكثر من عشرة آلاف وثمانمائة ساعة على أقصى تقدير»[١٢].

وفي الجامعات السعودية يقضي الطالب ٦٠٠ ساعة في السنة، في حين يقضي الفرد أمام التلفزيون ما معدَّله ١٠٠٠ ساعة سنوياً[١٣].

سلاحٌ.. ذو حدَّين:

وتشكِّل وسائل الإعلام هذه سلاحاً ذا حدَّين:

فهو يحوي البرامج الأخبارية، والعلمية، والأدبية، والرياضية، و ...، فبإمكاننا أن نرى متحف (اللوفر) في الإنترنت، ربَّما بصورة أكثر وضوحاً وإشباعاً للنهم المعرفي من رؤيته على أرض الواقع.

وفي الوقت نفسه يحوي بين جوانحه مشاهد العنف والجريمة، وما يتنافى مع الدين والأخلاق.

يقول تقريرٌ لمنظمة اليونسكو:

«التلفزيون في البلاد العربية هدم الدين والأخلاق..»[١٤].

ومن خلال إحدى الدراسات التي أُجريت على ٥٠٠ فيلم طويل تبيَّن أنَّ موضوع الحبّ والجريمة والجنس يشكِّل ٧٢ ٪ منها.

وبيَّنت دراسة لباحث أمريكي أنَّ ٢٩٪ من البرامج الموجَّهة للأطفال تتناول مواضيع جنسية.

كما أفادت دراسة أُجريت حول الجريمة والعنف في ١٣ فيلماً، وجد فيها ٧٣ مشهداً للجريمة[١٥].

وعندما نلقي نظرة خاطفة على أكثر برامج الأطفال نشاهد أنَّها تقوم على فكرة الصراع والعنف.

منهجان:

وإزاء القوة المتعاظمة لوسائل الإعلام وغيرها من سبل التأثير، أمام الأسرة والمجتمع منهجان:

يتمثل الأوَّل في (المنع): بأن تمنع الأسرة أبناءها عن كلِّ شيء: المجلات، التلفزيون، الدش، الإنترنت، ...، وتشكيل «حصن منيع» يحول دون وصولهم لذلك، أو وصول ذلك إليهم. وينصب المجتمع والدولة الحوائل والعوازل بين رعيتهما ومصادر التأثير.

بينما يتمثل الآخر في (المناعة)، وخلق «تحصين ذاتي» داخلي يحاكي الوجدان.

المناعة أجدى:

والأسرة والمجتمع - وإن كانا بحاجة بنسبة معيَّنة إلى المنع - إلا أنَّ خلق المناعة هو المنهج الأصوب.. لماذا؟

١ـ المنع أمرٌ خارجيٌّ، والمناعة أمرٌ ذاتيٌّ أشد أثراً وعملاً في الإنسان، ولا يستطيع الأمر الخارجي أن يأخذ مكانته ما لم تكن هناك (قابلية) له، تمثِّلها الذات.

٢ـ المنع يستطيع الإنسان أن يتخلَّص منه، ويفلت من أساره، أمَّا المناعة فهي شيءٌ يعتمل في الضمير، ولا يمكن الفرار منه.

٣ـ المنع يُذهب المحاسن والمساوئ، والمناعة لمقاومة المساوئ، والاستفادة من المعطيات الإيجابية.

٤ـ لا أحد يقبل المنع؛ لأنَّه فرضٌ خارجيٌّ يتدخَّل في حرية الإنسان، ويمارس سلطة (النظام الأبوي الشمولي) عليه.

أمَّا المناعة فهي رقابة ذاتية، قناعة متجذِّرة في النفس، وليست خارجية.

٥ـ يصعب المنع، لاسيَّما إذا كانت الأسرة مغرمة بوسائل الإعلام، وإذا امتنعت الأسرة،

فأين المحيط، والأقارب، والجيران، والأصدقاء، والمدرسة، و ...؟، إنَّ وسائل الإعلام كالهواء، موجودةٌ في كلِّ مكان.

أما المناعة فهي ممارسة ذاتية يمليها المرء على نفسه بحريته واختياره، ويستطيع أن يتملَّاها في سلوكه، وإن خالفه الجميع.

٦ـ يصعب وضع (معيار) يحدِّد المقبول والمرفوض، وفي حال وجوده قد يستغله في حين أن لتنفيذ مآربه باسمه، والتضييق على الآخرين وحرياتهم، بينما (معيار) المناعة داخلي يسهل على صاحبه تأسيسه، يفرضه الفرد على نفسه، وفي حال خطئه يمسّ شخصيته هو.

٧ـ لا يمكن أن يقيْم الدينُ أو الفرد أو الجهة (استراتيجته) - لاسيما في مواجهة الأعداء والمشكلات والثقافات - على المنع؛ لأنّ ذلك من شأنه أن يفاقم الأمور ضده أكثر، ويزيد الجبهات المناوئة له، لكنَّه يمكن أن يقيمها على المناعة، ثمَّ يكون لديه موارد محدودة استثنائية تدخل في المنع[١٦].

٨ـ الممنوع مرغوب: المنع يخلق لدى الفرد حبًّا للاستطلاع، والمغامرة من أجل الاكتشاف، ويشحذ - في كثير من الأحيان - روح التحدِّي والمواجهة.

إنَّ التحريم المطلق للأشياء يخلق الجرأة حتى على انتهاك الحكم الشرعي؛ لأنَّ الناس سيرون أنَّه حكمٌ غير واقعي، وسيرون أنَّهم السابقون إلى التفاعل مع الجديد (المحرَّم!) الذي سيذعن له الجميع في حلٍّ توفيقيٍّ فيما بعد، وسيصبح عادياً، إن لم نقل من متطلبات الحياة!!

كيف نحقِّق المناعة ؟

١ـ إنماء الوازع الذاتي:

لم يترك الله - سبحانه - عباده سُدى، بل أرسل لهم ١٢٤,٠٠٠ نبي، وفي قول آخر ٣٠٠,٠٠٠ نبي حتى يُنَمُّوا فيهم الإيمان، ويعلِّموهم الطريق الأمثل (الحكم الشرعي) الذي ينظِّم علاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وبالطبيعة.

وأنزل - سبحانه - ١١٤ سورة في القرآن الكريم، منها ٨٦ سورة مكية، تركِّز على العقيدة الصالحة، وخَلْق الوازع الديني، وتبشِّر بالجنَّة، وتنذر بالنار..، و٢٨ سورة مدنية خطَّت للمجتمع الإسلامي أسس الدولة الإسلامية، لكنَّها مع ذلك لم تغفل الجانب الروحي.

لقد سعى القرآن الكريم جاهداً لخلق الضمير الحيِّ الملتهب بحرارة الإيمان، الذي يلزم صاحبه، ويقوده إلى الخير، وينهاه عن الشرّ، ويحاسبه لو صدر منه: ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[١٧].

وسعى برياضاته الروحية والعملية وبزخمه الفكري إلى بناء صرح (التقوى) في القلب، وتوفير هذه الملكة النفسية الراسخة التي تجعل بين صاحبها المحرمات (وقاية) تحول دون سقوطه فيها حتى لو كانت متوافرة في المحيط الخارجي، وظلّ يهيب بأتباعه ألاَّ يحوموا حول حمى الضياع؛ خوف الوقوع فيه.

وأوجد برامج تدعم الروح وتقوِّيها، كالدعاء، والمناجاة، والصلاة، والصوم، وقراءة القرآن، و ...

وسنّ تشريعات حكيمة تحفظ الفرد والمجتمع المسلِمَين من الانزلاق خلف متاهات الظلام وسبله الوعرة، ومن تلك التشريعات ما يدعو إلى التزام العقيدة الصالحة، ومكارم الأخلاق، وتطبيق الفقه.

ومن ذلك دعوته الحثيثة لعفة البصر والفرج بوصفها طريقاً عملياً لمعاجة المنطلق والسبب قبل وقوع النتيجة المرّة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... ﴾[١٨]، إنَّه قطع جذر البذرة قبل أن تنمو منها شجرة الانحراف.

وهكذا نجد الإسلام يبسط رداء العفة في كلِّ حياة الإنسان وعلاقاته، في سكونه وحركته، في حلِّه وترحاله: عفة الكسب والإنفاق، المأكل والمشرب، الملبس والمسكن، الصداقة والصحبة، اللسان واليد، الدرس والتدريس، و...، وغني عن القول: إنَّ هذه الصفات التي تعود إلى العفة تعود - كذلك - إلى الإيمان أو التقوى أو العقيدة، فالإسلام كلٌّ متواشج العلاقات والأصر.

وكلُّ ذلك يتمحوَّر ويدور حول مركز تأسيسي ينطلق.من (النفس) و(الذات) وإيجاد عناصر المناعة فيها بحيث تستطيع مقاومة (الخارج) متى كان مختلفاً مبايناً.

«لم يرضَ الإسلام على مدى تاريخه الباهر باستراتيجية المنع في الميدان الثقافي والفكري، وإذا كانت هذه الاستراتيجية قد مُورست يوماً ما.. - وباسم الإسلام!! - بحقّ المجتمع؛ فإنَّها انتهت إلى الهزيمة ملحقة أضراراً لا دافع لها.

لقد كان الإسلام يستقبل الأفكار المخالفة والمعارضة بصدر رحب، وكان المفكرون العظام وأبناء المجتمع يواجهون أفكار الآخرين برحابة صدر وثقة عالية بالنفس، ويستفيدون من محاسنها، ويدَعون مساوئها تنسحق وتتلاشى في حركة النظام الفكري والقيمي الإسلامي، وبذلك استطاعوا أن يزيدوا من استحكام البنية الفكرية للمجتمع الإسلامي.

... إنَّ ما ذكرتُه لا يعني أنْ لا حقَّ للنظام الإسلامي في أن يمارس أيَّ نوع من المنع والردع...، ولكنْ.. هناك فرق بين نظام يقيم سياسته الاستراتيجية على المنع، وآخر يستفيد من المنع كخطوة تكتيكية تقتصر على حالات معيَّنة.

إنَّ الإسلام لم يأخذ - على مدى تاريخه - بمبدأ المنع استراتيجية سوى في مثل هذه

الأحوال (التكتيكية)، حيث تكتنفه الأخطار، وتحيق به المحن»[١٩].

وهذا يعني أنَّ الإسلام استخدم خيار (المنع) في حالات معيَّنة، لكنَّه يقيم سياسته العامة ومنهجه على دعائم (المناعة).

٢ـ النضج الفكري:

ولكي تُخلق المناعة، يلزم أن نُوجد في عقولنا الحصانة، عبر توفير النضج الفكري في كلِّ أبعاده: العقيدية، الثقافية، السياسية، و ....

إنَّنا أمة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[٢٠]، ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٢١]، ﴿ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[٢٢]، كما نهتم بالمأكول والمشروب نحتاج إلى الاهتمام بالعقل وغذائه.

نحتاج إلى القراءة، وسماع الأخبار، والاستنتاج الحرِّ، وتزويد العقل بالأفكار الحية الناهضة، والقيام بعملية تحليل وتركيب للأفكار قبل اعتناقها؛ حتى لا نقبل أيَّ (صرعة فكرية) تظهر في السوق، وحتى لا ينطبق علينا قول موشي ديَّان: «العرب أمة لا تقرأ»[٢٣].

إنَّ كثيراً ممن يقبل الأفكار البرَّاقة يقبلها لأنَّها لم تُعرض كما هي، بل.. أُلبست لباس الجميل الفتَّان، الذي يسبي الأنظار، ويخطف القلوب.

إنَّ (الخواء الفكري) يجعل الإنسان كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيءٍ إلاَّ قبلته، ويدفع فيما بعد إلى ظاهرة (الاستلاب الفكري)، والانبهار بكلِّ ما يفد من الآخر المختلف، ولو كان خاطئاً وعلى حساب الذات والمؤتلف، بل.. يصل إلى إضفاء المسحة الدينية عليه، وفرضه على النصِّ الديني، الأمر الذي نراه كلَّما ظهرت نظرية علمية جديدة، حين يذهب المنبهرون بها إلى فرضها على آية قرآنية، أو حديث شريف.

٣ـ الرشد الاجتماعي:

مما تقوم به وسائل الإعلام أنَّها تجعل غير المألوف اجتماعياً مألوفاً ومقبولاً ضمن التداول الاجتماعي (حشرٌ مع الناس عيد).

وهذا واحدٌ من الأسباب التي تُعلِّل تحوُّل ما يُشاهَد إعلامياً إلى مجسَّدٍ ضمن الممارسة الاجتماعية؛ لأنَّه حين عُرض وجد من يتقبَّله، ويهضمه، ويعيد تمثيله على أرض الواقع.

حين عُرض فيلم (قتلة بالهوية) أو (قتلة بالسليقة) في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي شهرٍ واحدٍ فقط، تمَّت ثلاث عمليات قتلٍ قام بها أطفالٌ على الطريقة ذاتها التي رأوها في الفيلم، ولما سُئلوا عن سبب قيامهم بالجريمة، أجابوا: أردنا أن نكون مشهورين كالذين في الفيلم!!؛ وذاك ما دعا فرنسا إلى منع عرضه في دور السينما فيها.

موضات اللباس، الشعر، التعاملات الاجتماعية، و ... تصرُّفاتٌ اعتنقها كثيرون عبر ما يرونه في وسائل الإعلام، ثم الصمت الاجتماعي تجاهها.

تفيد الإحصائية أنَّ ٩٨٪ من الأطفال يشاهدون الإعلانات بصورة منتظمة، وأنَّ ٩٦٪ منهم يتعرَّفون بسهولة على المشروبات المعلن عنها[٢٤].

والحصول على الرشد الاجتماعي يحتاج إلى المخالطة، والتجربة، والذكاء الاجتماعي، وحسن التصرُّف ....؛ حتى يُصدر المرء التصرُّف الحكيم، ولا يكون (إمَّعة) يقول: إن أحسن الناس أحسنتُ، وإن أساؤا..أسأتُ،..مع المتدينين حيناً، وحيناً مع غيرهم، تارة مع استثمار الزمن (والرزانة) والتصرُّفات الرشيدة، وأخرى مع التقليد الأعمى لكلِّ ما لا يتناسب مع خصوصيتنا الثقافية.

٤ـ توفير البدائل الناجعة:

في الثقافة هناك عموميات (عالميات) يتفق عليها البشر، وهناك (خصوصيات) تتميّز بها ثقافة من أخرى، أو فئة مهنية أو اجتماعية أو غيرهما، وتشكِّل ثقافة فرعية ضمن الثقافة الأصلية العامة، وهناك (بدائل ومتغيّرات) تتحرّك مع الزمن.

وحين يعايش المجتمع حاجة مادية - كالحاجة للتغلب على ارتفاع درجة الحرارة في المنزل - سوف يبحث عن حلّ ومخرَج لها، وسوف ينتخب أفضل البدائل المتاحة أمامه (ترطيب المكان، مروحة، مكيّف،...).

وكما يصحّ ذاك في الجانب المادي من الثقافة، فهو يصحّ - أيضاً - في الجانب المعنوي منها، فحين يصطدم بمشكلة معرفية سيفتش لها عن حلّ، وسيختار أحد البدائل، بما ينسجم مع اقتناعه به، أو توافقه مع مرتكزاته الدينية أو الإيديولوجية، وغيرها، أو بمدى إشباعه له.

والثقافة حين يواجهها تحدٍّ ما.. فهي إما أن تضع له حلاً ناجعاً، أو هزيلاً بالمقارنة بغيره من البدائل المتاحة، أو لا تضع له شيئاً.

وفي الحالة الأولى تستطيع الثقافة أن تحصِّن نفسها، وتكسب ولاء أتباعها لها، أما في الحالتين الأخريين فسوف تتيح المجال لثقافات أخرى ذات بديل أقوى أن تخترقها.

«.. وسيبقى خطر الاختراق قائماً ما لم تتم عملية الاستبدال ببدائل فريدة حقيقية؛ لأنَّ ما نسميه بالإعاقة أو الأجزاء الميِّتة [في بنية الأمة] ليس سوى التناقض بين حاجة الإنسان والواقع القائم....

ولهذا فإنَّ العنصر المتفوّق يفرض نفسه بقوة الحاجة الاجتماعية إلى البديل، الأمر الذي يقودنا إلى التأثير على حدود المسموح، والذي لا يتقرّر من خلال الوعي وحده، بل.. الوعي إلى جانب الحاجة الاجتماعية....

من هنا سيكون شرط منع الاختراق هو تقديم البدائل المتفوّقة، ليست داخل الحضارة نفسها، بل.. متفوّقة مطلقاً، وبغير توافر هذا الشرط سيكون الحديث عن الأصالة، ومنع الاختراق أو الذوبان، بلا طائل؛ لأنَّ الحركة وانتقال الفريد أو المتفوّق هو قانون الحضارة، ولن توقفه رغبة أو إرادة الناس»[٢٥].

وختاماً: المزيج والنمذجة:

١ـ المزيج:

لا نستطيع أن ننظر إلى وسائل الإعلام والثقافات الثقافية الأخرى بوصفها جهنم الحالكة السواد، كما لا يمكن أن ننظر إليها بوصفها جنّة الفردوس والصفحة البيضاء المشرقة، بل.. هي مزيج، فيه الحسن والسيئ.

وإذا كانت تساعد على إيجاد حالة من التأزم النفسي، وعلى نشر قيمٍ وعاداتٍ اجتماعية لا تتوافق.مع الدين والمجتمع، فإنَّ فيها آثاراً معرفيةً ساميةً، لقد قاربت وسائل الإعلام بين لهجات العالم العربي، وأغدقت على الأطفال سيلاً من الكلمات العربية الفصيحة، التي تسللت إلى ألسنتهم بشكلٍ عفويٍ مع الرسوم الكارتونية، فضلاً عن بثّ شيء من الثقافة هنا وهناك.

وينبغي علينا استثمار وسائل الإعلام والتقنيات الحديثة الأخرى في التنمية المعرفية والفكرية، والاطِّلاع على ثقافات الآخر وأنماط تفكيره، والاستفادة من إيجابياته، واختصار المسافة بين الدول والمجتمعات.

ولكي نقوم بعملية التنمية المعرفية الواعية نحتاج إلى اطلاع وتريُّث وعدم التعجُّل في قبول الأفكار الأخرى، وإنَّما أخذها من باب إجراء (مقاييس الصدق) عليها، فإن صمدت وصحَّت أخذنا بها، وإلاَّ.. فهي مجرَّد ثراءٍ فكريٍ لن يجد طريقه إلى قناعاتنا وواقعنا التطبيقي.

٢ـ النمذجة:

وقد قصدنا من وسائل الإعلام مجرّد نموذج قد يُستغل للاختراق الثقافي، لكنّه أحد النماذج، وليس النموذج الأوحد، فربّما جاء الاختراق الثقافي عن طريق صديق يحمل فكراً مؤثراً ومبايناً، ويسعى للتأثير وتشكيل عقلية صديقه، وقديماً قيل: (قل لي: مَن تصادق. أقل لك مَنْ أنتَ).

وربّما جاء عن طريق المحيط الاجتماعي وشخصياته الفاعلة والتقانات والأساليب الموجِّهة للفكر والسلوك فيه حتى لو لم تكن جلية واضحة، فالمجتمع يطبع أبناءه بطابعه، وعبر التوافق الاجتماعي قد يشد أفكارهم وسلوكياتهم إلى حدّ التطابق والتماثل.

وتلعب المدرسة دوراً كبيراً في هذا المضمار، لا سيما حين تكون فيها مناهج موجَّهة، ومدرسون ذوو شخصية جاذبة وقدرة على تزويق الأفكار.

والأسرة نفسها يمكن أن تكون وسيلة اختراق!!، لا سيما حين يحمل الأب ذاك الدور وتلك الراية، ويغدو مبشراً لفكر مسموم ينفثه بين أبنائه ومن يعول، وحينما يكون (ربّ البيت بالدفّ مولعاً) سيهيئ أفضل المناخات المؤهِّلة لتُضحي (شيمة أهل البيت كلّهمُ الرقص)!!، وهنا يكون (المنهج الخفي في التربية) الذي تمارسه الأسرة بسلوكها أشدّ تاثيراً - بما لا قياس بينهما - من (المنهج العلني) الذي تبديه عبر نصائحها وتوجيهاتها اللفظية وادعاءاتها.

وإذا كان ما مضى مما يندرج - بشكل أو بآخر - ضمن (البيئة الاجتماعية)، فإنَّنا لا نغفل (البيئة الثقافية) ودورها النشط، فالكتب المقروءة، والمحاضرات المسموعة وأوعية تقديم الفكر والمعرفة هي الأخرى ذات اتجاهات ومدارس تبتغي التأثير في المتلقي: فكراً وسلوكاً، وقد تتسلل إلى الذهن محمولة على سفن مشيدة من وسائل الإقناع: من روعة في الألفاظ، ومتانة في السبك، ووهج عاطفي دافق، وإحصائيات و....، بل.. ومن آيات وأحاديث!!

وهنا نذكّر بأنّنا لا نريد القول بأنَّ كلّ فكر هو هكذا؛ فنعيش الانغلاق والتقوقع، ولا أنَّ كلّ فكر مختلف هو - بالضرورة - مناوئ وهدّام، وينبغي بناء السدود دونه؛ فنقع بين براثن ثقافة البّعد الواحد!!، وإنَّما نريد التأكيد على الوعي وحضور العقل عند المثاقفة؛ لنكون من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٢٦).

الهوامش:

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام ٦/ ٩٨.

(٢) المصدر ٣/ ٢٩٠، وأحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي/ ١٦٩.

(٣) ف. ر. كوول، التاريخ والحضارة/ ٤٠.

(٤) روجيه غارودي، الإسلام دين المستقبل/ ١٠٦.

(٥) الشيخ محمد جواد مغنية، نفحات محمدية/ ١٩٠.

(٦) الدكتور زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي/ ٥.

(٧) خالد توفيق، (الفوارق بين الغزو الثقافي والتبادل الثقافي)، جريدة (كيهان العربي)، العدد ٢٣٩٤، في ٢٦/ ١١/ ١٤١٤هـ، ص٥، وقد استخلص الكاتب هذه الفروق من خطابات للسيد علي الخامنئي، ثمَّ جمعها مع مواضيع أخرى، ونشرها في كتاب بعنوان (الغزو الثقافي).

(٨) الشيخ حسين صالح آل الشيخ، (الاستلاب والثقافة الكونية)، مجلة (البصائر)، العدد ١٦-١٧، السنة الثامنة، صيف وخريف ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، ص٦٥.

(٩) الدكتور ميشال عاصي وإميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/ ١٨٣.

(١٠) الأستاذ محمد أمين أبو المكارم، أفئدة وجراح/ ٨٦. من مقال (آفاق أخرى للعمل الثقافي)، للشيخ حسين صالح آل الشيخ.

(١١) عبد الرحمن إبراهيم عسيري، البث المباشر: التحدي الجديد/ ٩٨.

(١٢) المصدر / ٩٨.

(١٣) المصدر / ٩١.

(١٤) المصدر / ٩٧.

(١٥) المصدر/ ٩٨.

(١٦) النقطتان (٦-٧) مأخوذتان بتصرّف من السيِّد محمد خاتمي، بيم موج: المشهد الثقافي في إيران: مخاوف وآمال/ ١٢٤.

(١٧) سورة القيامة/ ١ ٢.

(١٨) سورة النور/ ٣٠ ٣١.

(١٩) بيم موج: المشهد الثقافي في إيران/: مخاوف وآمال، مصدر سابق/ ١٢٤ ١٢٦.

(٢٠) سورة العلق/ ١.

(٢١) سورة القلم/ ١.

(٢٢) سورة آل عمران/ ١٩٠.

(٢٣) عبد الله بخيت، (العرب لا يعرفون القراءة، والغرب لا يقرؤون المعرفة)، مجلة (المعرفة)، العدد ٥٢، رجب ١٤٢٠ه/ أكتوبر ١٩٩٩م، ص١٩٠.

(٢٤) البث المباشر، مصدر سابق/ ٩٨.

(٢٥) عبد الله الفريجي، (جدلية الثابت والمتحرّك وحدود الممنوع والمسموح في الحضارة والتفاعل الحضاري)، مجلة (الكلمة)، العدد ١٩، السنة الخامسة، ربيع ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م، ص٤٥ ٤٦.

(٢٦) سورة الزّمر/ ١٨.